ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبياً على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعت منه ويجوز ان يكون راجعا على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه لمستوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال ب جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كنقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه وكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهور افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويس عن يعقوب مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهة له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها او في الجسد ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم دعوتهم لرجمناك لقتلناك اي شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعز علينا ولذلك قال

اصابة

في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تجهلوا المكانة من ان يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او يكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في فسوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي